المحاضرة الحادية والخمسون

"فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للعلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ "

" باب ما جاء في سبب كفر بني آدم"

قـــال الشيخ :-

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بســـــــم الله الرحمـــــــن الرحيــــــم الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا المصطفى محمداً عبد الله ورسوله،نستكملُ بحولِ الله وقوته فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه اللهُ وطيب ثراه .

بلغنا بحولِ اللهِ وقوته باب ما جـاء في (أنّ َسببَ كفرِ بني آدم وتركهِم دينَهُم هو الغلو في الصالحين).

وقول الله عز وجل:

" يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ "

وفي الصحيحِ عن ابن عباسٍ رضي اللهُ عنهما في قولِ اللهِ تعالى:

" وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا"

قـــال هذه أسماءُ رجالٍ صالحين من قومِ نوحٍ فلمَّـا هلكوا أوحى الشيطانُ إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهمُ التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم, ففعَلوا ولم تُعبَد حتى إذا هلك أولئك ونُسيَ العلمُ عُبِدَت.

قـال ابن القيم رحمه الله وطيب ثراه :

قال غيرُ واحدٍ من السلفِ لمَّـا ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلَهم ثم طال عليهمُ الأمدُ فعبدوهم .

وعن عمرَ رضي الله عنه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال:

"لَا تُطْرُونِي كما أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فإنَّما أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولوا: عبدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ". أخرجــاه.

وقــال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إياكم والغلوَّ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلوُّ.

ولمسلمٍ عن ابن مسعودٍ رضي الله تعالى عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال:

"هلكَ المتنطعون, هلك المتنطعون, هلك المتنطعون".

قـال الإمامَ رحمه الله فيه مسائــل:

الأولــــى: أنَّ من فهم هذا البابَ وبابَينِ بعدَه تبَيَّنَ له غربةُ الإسلام ورأى من قدرة الله وتقليبِهِ للقلوبِ لعجبا.

الثانيةُ: معرفةُ أولِ شركٍ حدثَ على وجه الأرضِ أنه بشبهةِ الصالحين.

الثالثةُ: أولُ شيءٍ غُيرَ به دينُ الأنبياء وما سببُ ذلك مع معرفةِ أنَّ اللهَ أرسلهم.

الرابعةُ: قبول البدع مع كون الشرائعِ والفِطَرِ ترُدُها.

الخامسةُ: أن سببَ ذلك كلِه مزجُ الحقِ بالباطلِ فالأول محبةُ الصالحين وهو حق, الثاني فعلُ أُناسٍ من أهلِ العلمِ والدينِ شيئاً أرادوا به خيراً فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيرَهُ.

السادسةُ: تفسيرُ الآيةِ التي في نوح.

السـابعةُ: جِبِلَةُ الآدمي في كون الحقِ ينقصُ في قلبه والباطلُ يزيد.

الثامنةُ: فيه شاهدٌ لما نُقِلَ عن السلف أنَّ البدعَ سببُ الكفرِ أو سببٌ للكفرِ.

التاسعة: معرفةُ الشيطانِ بما تؤولُ إليه البدعة ولو حسُنَ قصدُ الفاعلِ.

العاشرةُ: معرفةُ القاعدةِ الكلية وهي النهيُ عن الغلوِ ومعرفةِ ما يؤولُ إليه.

الحادية عشرة: مضرةُ العكوفِ على القبرِ لأجلِ عملٍ صالح.

الثانية عشرة: معرفةُ النهيِ عن التماثيلِ والحكمةُ في إزالتِها.

الثالثةُ عشرة: معرفة شأن هذه القصة وشدةُ الحاجةِ إليها مع الغفلةِ عنها.

الرابعةُ عشرة: وهي أعجبُ وأعجبُ قرائتهم إياها في كتبِ التفسيرِ والحديث ومعرفتهم بمعنى الكلام وكون الله عزَّ وجلَّ حالَ بينهم وبين قلوبهم حتى أعتقدوا أنَّ فعلَ قومَ نوح أفضلُ العبادات فاعتقدوا أنَّ ما نهى اللهُ ورسولُه عنه فهو الكفرُ المُبيحُ للدمِ والمال.

الخامسة عشرة: التصريحُ بأنهم لا يريدوا إلا الشفاعة (أي بعبادتهِم للموتى).

السادسة عشرة: ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصورَ أرادوا ذلك.

السابعة عشرة: البيانُ العظيم في قولِه صلى الله عليه وسلم (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم) فصلوات الله وسلامه على من بلَّغ البلاغ المبين.

الثامنة عشرة: نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين.

التاسعة عشرة: التصريحُ بأنها لم تُعبد حتى نُسيَ العِلم, ففيها معرفةُ قدرِ وجودهِ ومضرةُ فقدِه.

العشرون : أنَّ سببَ فقد العلم هو موت العلماء.

نعود إلى كلام الشيخ العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في الفتح حيث يوضح هذه المسائل .

قولُه : باب ما جاء في (أنّ سببَ كفرِ بني آدم وتركهِم دينَهُم هو الغلو في الصالحين).

قوله : تركهِم ← هو بالجرِ عطفاً على المضافِ إليه .

وأورد المصنفُ رحمه الله تعالى بيان ما يؤولُ إليه الغلوُّ في الصالحين من الشركِ بالله في الإلهية الذي هو أعظمُ ذنبٍ عُصيَ اللهُ به، وهو ينافي التوحيد الذي دلت عليه كلمة الإخلاص (شهادةُ أن لا إله إلا الله) .

قـــال الشيخ:

النظر في مآلات الأمور من أصول النظر الشرعي،أنَّ الإنسان العاقل لابد أن ينظر في ثاني الحال، ففيه قاعدة سد الذرائع التي استفاضت أو تواردت عليها أدلة القرآن والسُنة.

يؤول ← أي ينتهي

قولُه: وقولِ الله عزَّ وجلَّ :

" يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم "

قـــال الغلوُّ هو ← الإفراطُ في التعظيمِ بالقولِ والاعتقاد

بالقول (أي تعطي الذي غاليت فيه أكبر من حقهِ، وكذلك يمكن أن يحصُلَ بالاعتقاد أي يقع في قلبه موقعاً أكثر مما هو عليه).

أي لا ترفعوا المخلوق عن منزلته التي أنزله الله فتنزلوه المنزلةَ التي لا تنبغي إلا لله، وإن كان الخطابُ لأهلِ الكتاب فإنه عامٌ يتناولُ جميعَ الأمةِ تحذيراً لهم أن يفعلوا بنبيهم فعلَ النصارى في عيسى واليهود في العُزير.

كما قال عزَّ مِن قائلِ:

" لَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ "

ولهذا قال النبيُ صلى الله عليه وسلم:

" لا تطروني ... وسيأتي معناه.

فكلُ من دعى نبياً أو ولياً من دون الله فقد اتخذه إله (لأن الدعاء هو العبادة فإذا دعاه فقد عبدهُ) وضاهئ النصارى (أي شابه) في شركهم وضاهئ اليهودَ في تفريطهم، فإنَّ النصارى غالوا في عيسى عليه السلام فاتخذو إلهاً،واليهود فرطوا في منزلته وحقه فعادَوهُ وسبوه وتنقصوه صلواتُ اللهِ وسلامه عليه، فالنصارى أفرطوا واليهودُ فرطوا.

وقال تعالى:

" ما الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطعام "

ففي هذه الآية الكريمة وأمثالها ردٌ على الطائفتين، ردٌ على اليهودِ في قوله (ما المسيحُ ابنُ مريم إلا رسول) لا أقلَ من ذلك فلا تُنزِلوهُ عن هذه المنزلةِ (وجوبُ التعظيم، وجوب التوقير، وجوب المحبة، وجوب الإيمان به، وجوب الالتزام بشريعته، وجوب نصرته، مُعادةُ من عاداه، موالاةُ من والاه، هذه مزلتُه.

وقوله (وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام) أي ليسوا من أهل الإلهية والاستغناء ولا الربوبية ولا التشريع ولا التحليل ولا التحريم، بل كانا بَشَرَينِ يأكلان الطعام لحاجتهما إليه ويأتيانِ بلازمِ ذلك مما هو من مناقص البشرية.

قـال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ رحمه الله :

ومن تشبه من هذه الأمةِ باليهودِ والنصارى وغالا في الدينِ بإفراطٍ فيه أو تفريط فقد شبَهِهم أو شابَهَهُم.

قـال وعليٌ رضي اللهُ عنه (علي بن أبي طالبٍ): حرَّقَ الغاليةَ من الرافضةِ (أي قتلهم حرقـاً) فأمرَ بأخاديدَ تُحفر لهم عند باب كِنده فقذفهم فيها.

أخاديد← (جمع أُخدود) ← وهي القنوات التي تُحفر في الأرضِ

وهذا الأثر خرَّجّه البُخاري رحمه الله تعالى وطيب ثراه بلفظ أنَّ علياً حرَّقَ قوماً.

وبلفظٍ آخر قـال: أُتيّ علياٌ بزاندقةَ فأحرقهم.

قـال الحافظُ:

زعم أبي المُظَّفّر الإسفراييني أنَّ الذين أحرقهم علي طائفةٌ من الروافض إدَّعوا فيه الإلهيةِ.

قال وهذا يمكن أن يكونَ أصلُهُ ما رويناهُ في الجزءِ الثالثِ من حديثِ أبي الطاهرِ المُخَلِّص من طريقِ عبدِ الله بن شريك العامري عن أبيهِ قال: قيلَ لعلي أن هاهنا قوماً على باب المسجد يدَّعونَ أنك ربُهُم.

قـال الحافظُ : وهذا سندُ حسن.

قــال الشيخ:

أن هناك طائفة من غلاة الرافضة يعتقدون ذلك في علي إلى اليوم أهلكهم اللهُ عزَّ وجلَّ.

واتفق الصحابةُ على قتلهم (أي قتل من عبدَ علياً) وهم الزاندقة في الجملةِ.

لكن ابن عباسٍ مذهبه أن يقتلوا بالسيوف من غيرِ تحريقٍ وهو قولُ أكثرِ العلماء.

لأن العباس اعترضَ على علياً رضي الله تعالى عنه وأرضاه والخبر المشهور عنه رضوان الله عليه عندما قال:

لمَّـا رأيتُ الأمرَ أمراً مُنكرا أجَّجتُ ناري ودعوتُ قُنبُرا

وعندما رآهُ عبد الله بن عباس ذكَّرهُ بحديث النبي صلى الله عليه وسلم " لا يُعذبُ بالنارِ إلا ربُّ النار "

قوله وفي الصحيحِ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما في تفسير قولِ اللهِ :

" قالوا لا تذرون آلهتكم " قـال هذه أسماءُ رجالٍ صالحين.

قوله في الصحيح ← أي في البخاري.

وهذا الأثرُ اختصره المصنف.

ولفظُ ما في البخاري رحمه الله عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قـال:

صارت الأوثان التي في قومِ نوحٍ في العربِ بعدُ (أي بعد هلاكِ قومِ نوحٍ المشركين بالطوفان انطمست كل هذه المعالم ودُفِنت ومُنَقِّبوا الآثارِ عبر التاريخ من خلال بحثهم عن الآثارِ أخرجوا هذه الأصنام مرة ثانية وجددوا هذه الحضارات الشركية الكفرية مرة أخرى وشاعت في العرب.

أمَّـا (وَدْ) فكانت لكلبٍ بدومة الجندل (قبيلةُ كلب) .

وأمَّـا (سواع) فكانت لهُذيل، وأمَّـا (يغوث) فكانت لمراد ثم لبني غُطيف في الجُرفِ عند سبأ جنوب الجزيرة.

وأمَّـا (يعوق) فكانت لهمدان.

وأمَّـا (نسر) فكانت لحِميَر لآلِ ذي الكلاع.

قـال وروى عِكرمةُ والضحاكُ وابن إسحاق هذا أو نحو هذا.

قـال ابن جريرٍ رحمه الله بإسناده إلى محمد بن قيس أنَّ يغوث ويعوق ونسراً كانوا قوماً صالحين من بني آدم وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابُهم لو صَوَّرناهم كان أشوقَ إلينا إلى العبادةِ فصوروهم، فلما ماتوا (يقصد المصورون) وجاءَ أخرون دبَّ إليهم إبليسُ فقال إنما كانوا يعبدونهم وبهم يُسقَون المطر فعبدوهم،

قــال الشيخ :

أن الشيطان لا يفعلُ ذلك إلا عند إنطماس معالم الخير بالكليةِ، فمن الأشياء التي تعصمُ دينَ الأُمَّـةِ بقاء العلم وطلبته والعلماء والدعاة، يدعون إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، وأن التوحيد قائم مع وجود الدعوه إلى الله والعلم، ولذلك نقول أن حفظ دين الناس ببقاء الدعوةِ وهذا مطلب شرعي، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحه (لن تقومَ الساعة حتى تُعبَدُ اللاتُ والعزى) ، وقال (لن تقومَ الساعةُ حتى تضطرب ألياتُ نساء دَوْسٍ حول ذي الخَلَصه).

يقول: أنصبوا بكسر ال (ص) المهملة ← أنصاباً جمع نُصُب والمرادُ به هنا الأصنامُ المُصَوَّره على صورةِ أولئك الصالحين التي نصبوها في مجالسهم وسموها بأسمائهم وفي سياقِ حديثِ ابن عباسٍ ما يدل على أنَّ الأصنامَ تسمى أوثاناً، فاسم الوثن يتناولُ كلَ معبودٍ من دون الله سواءٌ كان ذلك المعبودُ قبراً، مشهدا، صورا (فإسم الوثن أوسع، يشمل على ما كان صورة أو غير صورة).

قولـه: عُبِدَتْ ← قـال لما قال لهم إبليس إنَّ من كان قبلكم كانوا يعبدونهم وبهم يُسقونَ المطر وهو الذي زين لهم عبادةَ الأصنامِ وأمرهم بها فصار هو معبودُهم في الحقيقةِ (لأن المُطاع في هذا الباب هو إبليس).

كما قال تعالـى:

" أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَانَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ".

وهذا يُفيد الحذرَ من الغلوِّ ووسائل الشرك وإن كان القصدَ بها حسناً، لأن النية الصالحة لا تصحح العمل الفاسد، فإنَّ الشيطان أدخل أولئكَ في الشركِ من باب الغلوِ في الصالحين والإفراطِ في محبتهم،كما قد وقع مثلُ ذلك في هذه الأمة، أظهر لهم الغلو والبدعةِ في قالَبِ تعظيم الصالحين ومحبتهم ليوقعهم في ما هو أعظم من ذلك من عبادتهم لهم من دون الله، وفي روايةٍ أنهم قالوا ما عَظَّمَ أولُنا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله (أي يرجون شفاعةَ أولئك الصالحين (وهي الشفاعة الشركية التي هي من غير إذن الله) الذين صوروا تلك الأصنام على صورهم وسموها بأسمائهم ومن هنا يُعلم أنَّ اتخاذَ الشفعاء ورجاء شفاعتهم بطلبها منهم شركٌ كما تقدم بيانُه في الآياتِ المُحكمات.

قـــال الشيخ:

ولذلك تجد بعض عُبَّاد الموتى في هذهعند إنكارِ فعلهم الأعصار يقولون أنك لم تَذُق محبتهم فلو أحببت لَعَرِفت، فهو يفعلُ ذلك حبا ولكن حب تألُّه لأنه من غير مباشرةِ أسباب فأين رأى هذا الميت ليحبه، إذا هو حب التعلق القلبي وهذا شرك أكبر عياذا بالله، ويُترجم بالعباداةِ الظاهرة كالسجود، المسح، الطواف، البكاء، التضرع.

قوله: وقال ابن القيم رحمه الله، قال غيرُ واحدٍ من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورِهم ثم صوروا تماثيلَهم ثم طال عليهم الأمدُ فعبدوها.

قال: وقال غيرُ واحدٍ من السلفِ، قال: هو بمعنى ما ذكره البخاريُ وابن جرير إلا أنه ذكر عكوفَهُم على قبورهم قبل تصويرِهم تماثِيلَهم وذلك من وسائل الشركِ، بل هو الشركُ، لأن العكوفَ لله في المساجد عبادةٌ،فإذا عكفوا على قبورِ الموتى صارَ عكُوفُهُم تعظيماً ومحبةً عبادةً لهم .

قوله: (فطال عليهم الأمدُ فعبدوهم) ← أي طال عليهمُ الزمان وسببُ تلك العبادة والموَصلُ إليها هو ما جرى من الأولينَ من التعظيم والعكوف على قبوورِهم ونصب صورِهم في المجالس فصارت بذلك أوثاناً تُعبد من دون الله كما ترجم به المصنفُ رحمه الله فإنهم تركوا بذلك دينَ الإسلام الذي كانَ أولئك عليه قبل حدوثِ وسائل هذا الشرك، وكفروا بعبادةِ تلك الصور واتخاذوهم شفعاء وهذا أولُ شِركٍ وقع في تاريخ البشرية.

قـــال القرطبيُ رحمه الله:

وإنما صورَ أوائلَهُم الصورَ ليتأسَّوا بهم ويتذكروا أفعالهم ويعبدوا الله عند قبورهم، ثم خلفهم قومٌ جهِلوا مرادَهم فوسوس لهم الشيطان أنَّ أسلافَهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها.

قال ابن القيم رحمه الله:

ومازال الشيطانُ يوحي إلى عُبَّادِ القبور ويُلقي إليهم أنَّ البناءَ والعكوفَ عليها من محبةِ أهلِ القبور من الأنبياء والصالحين، وأنَّ الدعاء عندها مستجاب، ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلى مرتبةِ دعاء الموتى أنفسهم من دون الله، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منهم إلى دعائه وعبادته، وسؤاله الشفاعة من دون الله واتخاذِ قبره وثناً تعلق عليه القناديل والستور ويُطافُ به ويُستلم ويُقبل ويُحَجُ إليه ويُذبحُ عنده فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى داء

الناس إلى عبادته وينشروا الشرك بين الناس حتى يتَمَرَّس الناس عليه ورأوا أنَّ ذلك أنفع لهم في دنياهم وأخراهم وكلُّ هذا مما عُلِمَ بالاضطرار من دين الإسلام أنه مضادٌ لما بعثَ اللهُ به رسولَه محمداً صلى الله عليه وسلم من تشديد التوحيد وأنه لا يُعبدُ إلا الله، فإذا تقرر ذلك عندهم (عندعُبَّاد الموتى) نقلهم منه إلى أنَّ من نهى عن ذلك فقد تنقصَ أهل هذه الرتب العالية،

قـال الشيخ:

ومن قال بخطأ فعلهم يتهمونه بكره أولياء الله الصالحين، ونحن نقول أنَّ محبة أولياء الله الصالحين من دين الله عزَّ وجلَّ وهذا من الولاء الواجب، ولكن معرفة كيفية هذا الحب،

والنصارى أحبوا سيدنا عيسى وفي النهاية عبدوه، فإذا قلنا النصارى الذين يعبدون عيسى عليه السلام كفار نكون بذلك كرهنا عيسى عليه السلام ؟ لا، ولكننا نكره ما يفعله هؤلاء الضالون .

قال: وحطهم عن منزلتهم وزعم أنه لا حُرمة لهم ولا قدر، فغضِبَ المشركون واشمأزت قلوبُهم،

كما قال الله تعالى:

" وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لاَ يُؤمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ "

وصار ذلك في نفوس كثيرٍ من الجُهَّال والطغاة وكثير ممن ينتسبُ إلى العلمِ والدين حتى عادَوا أهلَ التوحيد ورمَوهُم بالعظائمِ ونفَّروا الناس عنهم ووالّوا أهل الشرك وعظموهم وزعموا أنهم أولياء الله وأنصارُ دينِه ورسولِه ويأبى الله ذلك وما كانوا أولياءه إن أولياءه إلا المتقون. أ.هـــ

قــال في القصة الفوائد :

ومنها ردُّ الشبهةِ التي يُسميها أهلُ الكلام عقليات ويدفعون بها ما جاء به الكتاب والسُنةِ من توحيدِ الصفات وإثباتها على ما يليقُ بجلال الله وعظمته وكبرياءه، لأن هذه العقليات هي التي ذهبت بأصحابها إلى عبادة الموتى والشجر والحجر، لمَّا غاب دليلُ الشرع وغاب نور الوحي أصبح الناس في ظلام الجهل فأصبح لا يُعرف الحق من الباطل.

ومنها مضرة التقليد الذي هو أخذُ قولُ الغير بغير دليل.
ومنها ضرورة الأمة إلى ما جاء به الرسول علما وعملا، أي حاجاتها إليها إلى حد الضرورة بما يدل عليه الكتابُ والسنة، فإن ضرورة العبد إلى ذلك فوق كل ضرورة.
ضرورة بمعنى (اضطرار)

قوله عن عمر أنَّ النبيَّ قال:

لا تطروني (وهذا القولُ من الإطراء) وهو مجاوزة الحدِ في المدح والكذبِ فيه، قاله أبو السعدات رحمه الله .

وقال غيرُه أي لا تمدحوني بالباطلِ ولا تجاوزوا الحدَّ في مدحي، قولُه (إنما أنا عبدٌ) فقولوا عبدُ الله ورسوله.
أي لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كما غالت النصارى في عيسى عليه السلام، فادَّعوا فيه الإلهية وإنما أنا عبدُ الله ورسولُه صلواتُ الله وتسليماته عليه،فصفوني بذلك كما وصفني ربي فقولوا عبد الله ورسوله، فأبى المشركون إلا مخالفة أمره وارتكاب نهيهِ وعظموه بما نهاهم عنه صلوات الله وتسليماته عليه ونقاضوه أعظم مناقضة وضاهئوا النصارى في غُلُّوهم وشركهم ووقعوا في المحظورِ وجرى منهم من الغُلُّوِ والشركِ شعرا، ونثرا ما يطولُ عدُّهُ وصنفوا فيه مصنفات.

وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله عن بعض أهل زمانِهِ أنه جَوَّزَ الاستغاثةَ بالرسولِ صلى الله عليه وسلم في كل مايُستغاثُ فيه بالله وصنَّفَ في ذلك مُصنَّفاً رَدَّهُ شيخُ الإسلامِ رحمه الله ورَدُّهُ موجودٌ بحمد الله عزَّ وجلَّ ويقولُ إنه يعلم مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله وذكرَ عنهم أشياءَ من هذا النمط ونعوذُ بالله من عمى البصيرة، ولقد اشتُهِرَ في نظم البُصيري قولُهُ:

يا أكرم الخلقِ مالي من ألوذُ به سواك عند حدوثِ الحادث العممِ

وهذا كلام فيه غلو والنبي صلى الله عليه وسلم يكره ذلك.

قال النبي لابن عباس " إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله"

قال وما بعده من الأبياتِ التي مضمونها إخلاص الدعاء واللياذ والرجاء والاعتماد في أضيق الحالات وأعظم الاضطرار لغير الله فناقدوا الرسول صلى الله عليه وسلم بارتكاب ما نهى عنه أعظم المناقده وشاقوا الله ورسوله أعظم المُشآقَة وذلك أنَّ الشيطان أظهر لهم هذا الشرك العظيم في قالبِ محبة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وأظهر لهم التوحيدَ والإخلاص الذي بعثَ اللهُ به رسوله في قالَب تنقيصه وهؤلاء المشركون هم المتنقصون الناقصون، أفرطوا في تعظيمه بما نهاهم عنه أشد النهي وفرطوا في متابعته فلم يعبأوا بأقواله وأفعاله ولا رضوا بحكمه ولا سلموا له وإنما يحصلُ تعظيمُ الرسول بتعظيم أمره وتعظيمِ نهيه والأهتداء بهديه واتباع سُنتهِ والدعوةِ إلى دينهِ الذي دعا إليه ونصرته وموالاة من عملَ به ومُعاداةِ من خالفه، فعكس أولئك المشركون ما أراد الله ورسوله علما وعملا وارتكبوا ما نهى الله ورسوله عنه والله المستعان.

وقال صلى الله عليه وسلم " إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو"

هذا الحديث ذكره المُصنف بدونِ رواية وقد رواه الإمامُ أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما. وهو الصحيح

وهذا لفظُ رواية الإمام أحمد في مُسنده عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة جمعٍ (أي صبيحة يوم الأضحى) هلمَّ أُلقُط لي، فلقطُ له حصْياتٍ هن حصى الحذفُ فلما وضعهن في يده قال نعم بأمثالِ هؤلاء فارموا وإياكم والغلوَ في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين.

قال شيخُ الإسلام رحمه الله وطيب ثراه:

هذا عامٌ في جميع أنواع الغلوِ من الاعتقادات والاعمالِ وسببُ هذا اللفظ العلم رميُ الجِمار وهو داخلٌ فيه مثل الرمي بالحجارة الكِبار بناءاً على أنهم أبلغُ من الصغار ثم علله بما يقتضي مُجانبة هدي من كان قبلنا إبعادا عن الوقوعِ فيما هلكوا به (أي إبعادا لنا عن الوقوعِ فيما هلك به من كان قبلنا) فإن المشارك لهم في بعض هديهم يُخافُ عليه من الهلاك.

قوله ولمسلمٍ عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " هلك المتنطعون" .

قـال الخطابيُ رحمه الله شارحاً:

المتنطع ← هو المتعمق في الشئ المُتكلفِ البحثِ عنه على مذاهب أهلِ الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم، الخائضين فيما لا تبلُغُهُ عقولُهم.

ومن التنطع الامتناع عن المباح مطلقاً، كالذي يمتنعُ من أكلِ اللحم والخبز ويمتنع عن لبس الكتانِ والقطن ولا يلبس إلا الصوف مثلا، ويمتنعُ من نكاح النساء (وهذه رهبانية ليست من دين محمد صلى الله عليه وسلم) ويظن أن هذا من الزهد المستحب.

قال الشيخُ تقيُ الدين:

من فعل هذا، فهذا جاهلٌ ضالٌ.

وقال ابن القيم رحمه الله :

قال الغزاليُ: والمتنطعون في البحث والاستقصاء.

قال أبو السعدات رحمه الله هم المتعمقون الغالون في الكلام والمتكلمون بأقصى حلوقهم مأخوذٌ من النِطعِ وهو الغاءُ الأعلى من الفم ثم استُعمِلَ في كل متعمقٍ قولا وفعلا.

وقال النوويُ رحمه الله:

فيه كراهيةٌ التقعرفي الكلام بالتشدق وتكلف الفصاحة واستعمالِ وحْشيّ اللغة ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم.

قوله : قالها ثلاثا ← أي قال هذه الكلمة ثلاث مرات مبالغةً في التعليم والإبلاغ فقد بَلَّغَ البلاغ المبين صلواتُ الله وتسليماته عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.